روحانيات القيم الصوفية في المنظومة الملييبارية : دراسة تحليلية

The Spirituality of the Mystical Values in the Maliberian Verses: An Analytical Study

Ahmadi Usman[a1], Khairul Mufid Zubairi[2]
[a]UIN Syarif Hidayatullah Jakarta

[1]ahmadi.usman@uinjkt.ac.id
[2]almufidy0@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى قراءة المنظومة الملييبارية قراءة تستكشف روحانيات القيم الصوفية في هذه المنظومة التي تكون ضمن كتاب هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء لزين الدين بن علي المعبري الملييباري؛ عالم وصاحب شعر صوفي مفعم بالحكم التي يمكن أن يسترشد به الناس من أجل سعادة العاجل والآجل. والمنهج الذي يسلك عليه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بوصف شخصية الشاعر الصوفي ومنظومته وكتابه ثم تحليل مفهوم التصوف واستخراج القيم الصوفية من نصوص المنظومة واستخلاص الدروس المستفادة منها. أما طريقة كتابة هذا البحث فهي الطريقة المكتبية حيث يعتمد البحث على المننظومة الملييبارية باعتبارها مصدرا أساسيا لهذا البحث، وعلى الكتب والأبحاث المتعلقة بالبحث باعتبارها مراجع أو مصادر ثانوية . وقد قام البحث بقراءة 30 بيتا مقسمة إلى 11 مقطعا، ووصل إلى النتائج الآتية: أن المنظومة الملييبارية مقطوعات لا قصائد، وأن غايتها النصح والإرشاد، وحاصلها أن التصوف هو الأدب الذي يجب يتلى به الإنسان في كل أحواله وأعماله.

الكلمات المفاتيح: التصوف، القيم الصوفية، المنظومة الملييبارية، هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء

Abstract

This research aims to read the Maliberian verses, a reading that explores the spirituality of the mystical values in this verses, which is part of the book “Guidance of the Intelligent to the Way of Awliya” by Zain Al-Din Bin Ali Al-Ma’bari Al-Malibari; an Islamic scholar and owner of Sufi poetry full of wisdom that can guide people for the happiness of the present and the future.The method by which the research is conducted is the descriptive and analytical approach, by describing the personality of the Sufi poet, his verses and his book, then analyzing the concept of Sufism and extracting the mystical values from the poetic’s texts and drawing lessons learned from them. As for the method of writing this research, it is the library method, where the research relies on the Maliberian verses as a primary source for this research, and on books and related research as references or secondary sources.The research has read 30 verses divided into 10 syllables, and reached the following results: That the Maliberian verses are pieces rather than poems, and that its purpose is advice and guidance, and the result is that Sufism is the moral that a person should recite or apply in all his situations and deeds.

المقدمة:

الصوفية أو التصوف هي منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله عز و جل. تقوم الصوفية على فكرة الولايةحيث يعتبر الولي عارفا بالله الذي يمنحه كرامات من عند الله تعالى مثل شفاء المرضى وكشف الغيب. وهذا ما عرضها في بداية القرن الماضي لهجوم المتعلمين في الغرب باعتبارها ممثلة للثقافة الدينية التي تنشر الخرافات، ثم بدأ مع منتصف القرن الماضي الهجوم من قبل المدرسة السلفية باعتبارها بدعة دخيلة على الإسلام.[1]

لما كانت الصوفية أكثر الناس حظا من المحافظة على سنن النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه والتخلق بأخلاقه ظاهرا وباطنا، ونالوا بذلك المراتب العلية والمقامات السنية رأوها الركن الأعظم للتصوف فأطلقوا التصوف عليها على حد قوله صلى الله عليه وسلم: الحج عرفة، أي: معظم أركانه الوقوف بعرفة. فلذلك قال السيد بكري المكي: إن التصوف كله لهو الأدب، أي: معظم أركانه الأدب.[2]

ومن البداهة بمكان أن القرآن الكريم مثل الصوفية عن قرب الله تعالى مع خلقه، قال الله جل وعلا: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].وقوله جل وعلا: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيم[} البقرة: 115].هذه الآية عند الصوفيين تبين أن الله تعالى محيط بكل شيء.[3]

إن الأدب هو الشعر والنثر الفني،[4] والشعر هو الكلام الفصيح الموزون المقفى المعبر غالبا عن صور الخيال البديع.[5] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا.[6]

إن الواقع يشير إلى أن للأدب علاقة وثيقة بالتصوف، فصدر منه نوع جديد وهو الأدب الصوفي بنظريته وتاريخه ونقده. فمن الممكن أن يقال إن الأدب لم يقدر على أن ينفصل بالتاريخ فلا ينفك واحد من آخر. والشعر الصوفي كثير وغزير، فمن شعراءه من قالوا وفاضوا واعتمدوا على الارتجال والبديهة وأحسنوا وأتوا في أشعارهم بغزر المعاني وروائح الخيال وبدائع الصور والتشبيهات ولطيف المجاز.[7]

ونشأ هذا الشعر الصوفي من الشعر العربي منذ السنة الأولى الهجرية ثم ينمو ويتطور في القرن الثاني على أيدي البصري ورابعة العدوية وأبو زكريا يحيى الرازي وعسكري بن حسين النخسي. وكان هذا الشعر في القرن السابع الهجري في غاية التطور بوجود ابن عربي وجلال الدين الرومي أشهر الصوفيين وأعظمهم في العالم.[8]

هذا الكتاب ألفه الشيخ زين الدين ابن الشيخ أحمد المعبري المليباري صاحب فتح المعين رحمه الله تعالى المشهور بلقب زين الدين الثاني. وهو شافعي مذهبا. ومؤلفاته كثيرة تتكون من العلوم الدينية، منها: تحفة الأحباء وإرشاد القاصدين في اختصار منهاج العابدين

---

[1] عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، (القاهرة: مكتبة مدبولى، 1999م)، ص 24.

[2] السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء،(سورابايا: نور الهدى، د،ت.)، ص25.

[3] Harun Nasution, Islam Ditinjau dari Berbagai Aspek, (Jilid II, Jakarta: UI Press, 1979), hlm. 72.

[4] محمد مندور،الأدب ومذاهبه،(القاهرة: نهضة مصر،د.ت.)، ص 6.

[5] أحمد الإسكندر ومصطفى أناني،الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، (القاهرة: دار المارف، 1916هـ)، ص 3.

[6] أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك، الموطأ، (بيروت: دار العلم، ط 1، ج 2، 1920هـ)، ص 986.

[7] محمد عبد منعم خفاجي،الأدب في التراث الصوفي، (القاهرة: دار غريب، د،ت.)، ص 167.

[8] محمد عبد منعم خفاجي،الأدب في التراث الصوفي، ص 36.

وشعب الإيمان المعرفة المختصرة من شعب الإيمان الفارسية العلامة السيد نور الدين الإيجي وهداية الأذكياء إلى طريق الأولياء منظومة في التصوف. هذا كما ذكره الإمام النووي البنتني رحمه الله تعالى.[9]

إن كتاب هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء من أعظم مؤلفات الشيخ زين الدين بن علي المعبري المليباري، فيه 188 بيتا في بيان الطريقة الموصلة إلى الآخرة، وهي شريعة وطريقة وحقيقة والوصايا عن التوبة والقناعة والزهد والتوكل والإخلاص وما إلى ذلك. وقد استعمل فيه البحر الكامل حتى يسهل قرائته وحفظه للطلبة.

ومن معاني التصوف، قول زين الدين المليباري:[10]

إن التصوف كله لهو الأدب ومن العوارف فاطلبنه وعولا

وهذا النظم إحدى منظومات الشيخ زين الدين المليباري الدال إلى معنى التصوف. قال أبو حفص الحداد إن التصوف كله أدب، لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب، فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول.[11]

إن هذه المنظومة تحتوي كثيرا من الصور البيانية الدالة على مفهوم التصوف وكذلك عناصر الجمال والحكمة بأسلوب متميز من حيث البلاغة لفظا ومعنى. إن هذه المنظومة تضم قيما دينية، مثل: القناعة والزهد والمواعظ التي أن يجب أن نستجيب منها. فينبغي الاستفادة من هذه المنظومة من حيث التصوف التي تتضمنها.

شخصية زين الدين بن علي المعبري المليباري

كان زين الدين بن علي بن المعبري المليباري من أجل الشعراء وعلماء التصوف الهنود في القرن التاسع الهجري الموافق للقرن الخامس عشر الميلادي وصاحب مؤلفات عديدة باللغة العربية في العلوم الإسلامية والتصوف والدعوة والإرشاد والفقه والتاريخ والنحو والصرف والعروض وغيرها.

أ. مولده ونشأته

ولد الشيخ زين الدين بن علي المعبري المليباري في كوشين (Cochin) من مدن مليبار بعد طلوع الشمس من يوم الخميس 12 شعبان 872هـ ونقله عمه القاضي زين الدين بن أحمد إلى فنان وهو صغير.[12]

[9] محمد نواوي الجاوي، سلالم الفضلاء، (سيمارانج: مكتبة العلوية، د.ت.)، ص 4.
[10] السيد أبو بكر المكي،كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص 25.
[11] السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص 26.
[12] محمد نووي الجاوي، سلالم الفضلاء،ص40.

ولعائلة الشيخ زين الدين حرص قوي في نشر العلوم الإسلامية واللغة العربية وأدبها في الهند. ولاتزال عائلة معروفة في بلدة بوناني (Ponant) في مليبار (Malyabary) بولاية كيرالا (Kerala) الهندية، عائلة علم وأدب ودعوة، ويطلق عليها أهل مليبار عائلة المخدومين، ويدعى كل فرد بلقب مخدوم.[13] وهو جد زين الدين بن عبد العزيز المليباري صاحب كتاب فتح المعين شرح قرة العين.[14]

وقيل ولد زين الدين بن علي سنة 873هـ مناسبا ب 1468م في منطقة كورا منذال (Cora Mnmal) في أقصى جنوب الهند يسميها العرب المؤرخون معبرا لأن الموانئ المنتشرة في هذه المنطقة الممتدة بين مدينة كويلون (Cuellon) في جنوب كيرالا و بين مدينة نيلور (Naylor) بمقاطعة مدارس، و كانت مركزا لارتياد السفن التجارية للعرب في سواحل الهندية.[15]

وكان ملكها سوندرا باندیا (Sondra Pandya) له دور كبير ومهم في اقتصاد البلاد ورخائها، فقد اختار الملك مسلما عربيا وهو تقي الدين بن عبد الرحمن محمد الطيب المولود في المدينة المنورة ليكون مستشارا له في الشئون التجارية والاقتصادية، ثم عينه واليا على إحدى الموانئ الرئيسية في معبر.[16]

وفي بداية القرن العاشر الهجري ارتحل زين الدين بن علي المعبري المليباري من مسقط رأسه بمعبر إلى مليبار كيرالا (Kerala) التي وضعت في مدينة كوشين (Cochin) ثم انتقلت إلى مدينة بونان. بنى زين الدين بن علي المعبري المليباري مسجدا جامعا كبيرا في بوناني ليكون مركزا لنشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية بين أهال مليبار.

وبعد وصول زين الدين بن علي المعبري المليباري إلى بوناني أصبحت هذه المدينة منار النور والعرفان ومحط رجال العلم والأدب القادمين من أرجاء الهند ومصر وسوريا، فكان من أحد المدرسين في هذا الجامع الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المتوفى في سنة 909هـ. ووضع زين الدين بن علي المعبري المليباري تصميم هذا المسجد الجامع بحيث يصلح لأن تعقد فيه حلقات الدروس. وقام بالتدريس فيه كبار أساتذة العلوم الإسلامية والعربية نحو الشيخ ابن حجر الهيتمي المذكور.

وتخرج من هذا المركز العلمي عدد كثير من العلماء المشهورين في العلوم الإسلامية واللغة العربية، منهم الشيخان عبد العزيز بن زين الدين و زين الدين بن عبد العزيز المعروف بزين الدين الثاني فكانوا من جنة العلماء الهنود في الفقه والتوحيد والتاريخ الإسلامي في الهند وأصحاب مؤلفات عديدة باللغة العربية، وكذلك الشيخ مقار المولود المتوفى سنة 1969م الذي قضى سنوات عمره كله في الدعوة إلى الله بالوعظ والإرشاد.[17]

ب. مؤلفاته

ومما لا نعلم خلافا أن زين الدين بن علي المعبري المليباري ألف كثيرا من المؤلفات التي تتعلق بالعلوم الدينية، منها: مرشد الطلاب وسراج القلوب وشمس الهدى وتحفة الأحباء وإرشاد القاصدين وشعب الإيمان وكفاية الفرائض وكتاب الصفا من الشفاء وكتاب القافية لابن حاجب وتسهيل الكافية وشرح ألفية ابن مالك وشرح التحفة لابن الوردي وشرح الإرشاد لابن المقري وقصص الأنبياء وكتاب هداية الأذكياء

[13] محيي الدين الألوائي، من أعلام الدعوة الإسلامي في الهند، (بيروت: دار المشرق، ط2، د.ت.)، ص34.
[14] كارل شئولز، اللغة العربية في أفغانستان، مجلة المجمع العلمي العربي دمشق، (المجلة الثلاثون، 1927م)، ص375.
[15] محيي الدين الألوائي، من أعلام الدعوة الإسلامي في الهند، ص39.
[16] محيي الدين الألوائي، من أعلام الدعوة الإسلامي في الهند، ص41.
[17] محيي الدين الألوائي، من أعلام الدعوة الإسلامي في الهند، ص52.

إلى طريق الأولياء وأرجوزة في الفلفسة إضافة إلى قصيدته "تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان".وقال الزركالي في الأعلام له رسالة الجوارح في عقوبة أهل كبائر ومختصر في الوعظ وهداية الأذكياء إلى طريق الأولياء منظومة في التصوف.[18]

وكتب بالعربية "هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء" وله شرح كتبه ابن عبد العزيز وعنوانه "مسلك الأذكياء" وكتب عبد الباقي بن محمد حاجي صدر الدين الصبربني سنة 950هـ الوافق لـ 1534م الكتاب اللغوي وعنوانه "رسالة في تمام المشترك" وكتب شرف القاضي بن حسين المدراغي الغزنوي المتوفى سنة 854هـ مناسبا ب 1459م "النتف الحسان للفتاوى".[19]

ت. انتساب صوفية زين الدين بن علي المعبري المليباري

أخذ الطريقة الجشتية عن الشيخ قطب الدين بن فريد الدين بن عز الدين الأجودهني، فألبسه الخرقة ولقنه الذكر الجلي ثم أجازه لتربية المريدين وتلقين الذكر وإلباس الخرقة والإجازة لمن يجيز. ولقنه أيضا الذكر على الطريقة الشطارية الشيخ ثابت بن عين بن محمود الزاهدي وأجازه في تلقينه. ويصفه المستشرق الكبير كارل بروكلمان بأنه الصوفي المعروف.[20]

ث. وفاته

انتقل زين الدين بن علي المعبري المليباري إلى رحمة الله تعالى بمدينة بفناني في 17 شعبان سنة 928هـ الموافق لـ 1521م.[21] أو توفي بها في النصف الثاني من ليلة الجمعة في التاريخ 16 شعبان سنة 927هـ.[22]

وقال آخر ظل زين الدين الأول إنه يدرس في المسجد وينشر العلم والدين ويقوم بدوره الريادي في مسار أمته وكانت وفاته بفناني، التربة التي تشرفت بكد يمينه وعرق جبينه وكانت بعد نصف ليلة الجمعة السادس عشرة من شهر شعبان سنة تسعمائة وثمانية وعشرين الهجرية (928هـ/ 1522م).[23]

ودفن جثمانه الشريف بفناء مسجده الجامع بفناني عند مدخله الشرقي و لايزال ضريحه ظاهرا ومعروفا وصدق محيي الدين الألوائي إذ قال {يفيد إليه الزوار من شتى أنحاء العالم}.[24]

كتابه "هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء"

[18] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمسترشقين، (بيروت: دار العلم، ط1، 1990م)، ص640.
[19] محيي الدين الألوائي، من أعلام الدعوة الإسلامي في الهند، ص70.
عبد الحكيم عبد الغنى قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ص96.[20]
[21] محيي الدين الألوائي، من أعلام الدعوة الإسلامي في الهند، ص75.
[22] محمد نواوي الجاوي، سلالم الفضلاء، ص4.
[23] محمد عبد الكريم، تحفة المجاهدين، (مكتبة الهدى كاليكوت، د.ت.)، ص8.
[24] محمد عبد الكريم، تحفة المجاهدين، ص15.

إن كتاب هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء من أعظم مؤلفات الشيخ زين الدين بن علي المعبري المليباري، فيه مائة وواحد وتسعون بيتا عن بيان الطريقة الموصلة إلى الآخرة وهي شريعة وطريقة وحقيقة والوصايا عن التوبة والقناعة والزهد والتوكل والإخلاص وما إلى ذلك.[25]

فعودة إلى بدء أن سبب نظم هذه الأبيات كما حكى الناظم أنه رأى في المنام ليلة الأربعاء في اليوم الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة تسعمائة وأربع عشرة من الهجرة قائلا إن التصوف أولى بالاشتغال فإن السابح في الجاري إذا أراد أن يعبر من جانب إلى جانب في عرض النهر يسبح إلى مقصده من الجهة التي يجري الماء منها وهي جهة العلو حتى يصل إلى مقصده ولا يسبح في مجرد العرض فإنه لا يصل بذلك إلى مقصده بل ينتهي إلى أسفل منها ففهم بذلك أن الاشتغال بالتصوف يوصل إلى المقصد والاشتغال بالفقه ونحوه لا يوصل إليه وبعد هذه الرؤيا اشتغل بإنشاء هذه الأبيات التي هي مائة وثمانية وثمانون بيتا فأجاد نظمها.[26]

قراءة نصوص المنظومة

يصل نص منظومة المعبري المليباري إلى 188 بيتا في 38 مطلبا، وقد ركز المعبري المليباري في أهمية التصوف ومفهومه وطرقه الموصلة إليه كي يتصف الإنسان به في جميع أوقاته وأحواله وأعماله. والمقالة هنا اختارت 30 بيتا من هذه الأبيات وقامت بتحليل هذه النصوص. أما سبب الاختيار فيرجع إلى أن المنظومة من أشهر المنظومات التي لا يقتصر موضوعها على الماضي والحاضر والمستقبل، وإنما يمثل الوجود الإنسان على وجه هذا الكون في أي زمان كان ويكون وسيكون. فقيم الأخلاق والتصوف التي أراد أن يقدمها المعبري المليباري كان لمن أراد أن ينال الرضا والسعادة من الله في الدنيا والآخرة. فالأبيات التي تتحدث عن التصوف والارتباط بينه وبين الأعمال والأحوال الدنيوية تتطرق أيضا إلى الأعمال والأحوال الأخروية. وقد تم اختيار عدد من نصوص المنظومة، وهي الأبيات: 4-5-8-10-11-13-16-17-21-22-23-24-25-28-29-30-31-32-33-34-35-42-43-44-45-47-53-54-55-62-63. التي قسمناها إلى 11 مقاطع على النحو الآتي:

المقطع الأول: مفهوم الطرق الثلاثة الشريعة والطريقة والحقيقة

إن الطريق شريـــــعة وطريقة وحقيقة فاسمع لها ما مثـــــــلا
فشريعة كسفينة وطـــــريقة كالبحر ثم حقيقة در غـــــــــلا
وحقيقة لوصوله للمقصـــــد ومشاهد نور التجلي بانجـــــــلى
وكذا الطريقة والحقيقة يا أخي من غير فعل شريعة لن تحصلا

هذه الأبيات تدل على أن الطرق الثلاثة الموصلة للآخرة شريعة وطريقة وحقيقة، فينبغي لسالك طرق الآخرة من الجمع بين هذه الثلاثة وعدم التعطيل لشيء منها. ومن جراء ذلك أن الحقيقة بلا شريعة باطلة والشريعة بلا حقيقة عاطلة، مثال الأول أن تقول لشخص: صل! فيقول لك: لا حاجة إلى الصلاة لأن السعيد سعيد الأزل فإن كنت سعيدا دخلت الجنة وإن لم أصل وإلا دخلت النار وإن صليت.

[25] السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص25.
[26] محمد نووي الجاوي، سلالم الفضلاء، ص4.

ومثال الثانية من يعمل لأجل الجنة لولا عملي لما دخلت الجنة فهذه شريعة عاطلة ومعنى كونها عاطلة أن وجودها كعدمها لأن دخول الجنة بفضل الله ورحمته تعالى.

وقد مثل الناظم الشريعة بالسفينة في أنها سبب في الوصول إلى المقصد والطريقة بالبحر في أنها محل للمقصد والحقيقة بالدر في أنها الانتفاع والعلو فلا يصل الشخص للحقيقة التي هي الدر إلا بعد وصوله للبحر الذي هو محله ولا يصل له إلا بالسفينة.[27]

وقيم التصوف الواردة في هذا المقطع هي بيان لمن فعل العبادة والتقرب إلى الله للحصول على خيري الدنيا والآخرة، بحيث يجب أن يتطرق فيهما السالك مبتدئا بالأصل الجامع وهو التقوى الذي يعتبر فيه عن امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ظاهرا وباطنا مع استشعار التعظيم لله والهيبة والخشية والرهبة من الله تعالى. وكل ذلك يحتاج إلى الاتباع بذكر طرق السلوك إذ بها يتيسر رعاية التقوى واجتناب الهوى، وقد ظهرت الطرق الثلاثة التي سلك بها السلك وهي الشريعة والطريقة والحقيقة، كما قال الله تبارك وتعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة: 5)، تعليما لعباده بقوله إياك نعبد مراعى فيه ظاهر الشريعة لأنه منظور فيه إلى الكسب الظاهري الذي هو فعل العبد، وقوله إياك نستعين مراعى فيه الحقيقة لأن فيه تبري العبد من حوله وقوته وشهود أن الفعل لا يتم إلا بمعونة الله.[28]

والحاصل يجب على العبد أن يعمل بجميع ما أمره الله به ويجتنب جميع ما نهاه الله عنه لكنه لا يلاحظ أن عمله هو الذي ينجيه وهو الذي يدخله الجنة ولولاه لما حصل له ذلك بل يلاحظ بالعمل امتثال أمر الله.

والدروس المستفادةمن هذا المقطع: يجب على العبد أن يعبد الله ويستعين به لوفاء حقه إلى الله تعالى نحو الصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات، وكل ذلك يحتاج إلى الشريعة والطريقة والحقيقة لأن كل الأفعال لها طريق صحيح مثل التقوى والإخلاص والخضوع وغيرها.

إن الشريعة وجود الأفعال لله والقيام بشروط العلم بواسطة الرسل، والحقيقة شهود الأفعال بالله تعالى والاستسلام لغلبات الحكم، والطريقة هي الأخذ بالأحوط في سائر الأعمال ولا يأخذ بالرخص وذلك كالورع. إن الحقيقة هي وصول السالك للمقصود وهو معرفة الله سبحانه وتعالى ولذلك يتجلى الفرق بين الشريعة والحقيقة. أما الشريعة أمر بالتزام العبودية وأما الحقيقة مشاهدة الربوبية أو رؤيته إياها بقلبه.[29]

المقطع الثاني: تزيين الظواهر الجلية

فعليه تزيين لظاهره الجـــــلى بشـريعة لينـــــور قلب مجتلا

ولكل واحدهم طريق من طـرق يختاره فيكون من ذا واصـــــلا

من رام أن يسلك طريق الأولياء فليحفظن هذي الوصايا عاملا

[27]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص9.

[28]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص9.

[29]الغزالي، إحياء علوم الدين، (دار الكتب الإسلامية، ط 1، 1425هـ-2004م)، ج2، ص20-21.

يدل هذا المقطع على أن الطريقة والحقيقة متوافقتان على الشريعة، فيجب على السالك أن يزين ظاهره بالشريعة ليتنور قلبه بنور الشريعة وتزول عنه ظلمة المعاصي فإن للمعصية ظلمة ترتفع إلى القلب كما أن للطاعة نورا يرتفع إليه وإنما وجب عليه التزيين المذكور لأجل أن يمكن للطريقة نزول في قلبه لأنه إذا تنور القلب وزالت ظلمته بسبب استعمال الشريعة تأهل القلب لحلول الطريقة فيه.[30]

ولكل واحد من القوم مسلك اختاره وسلكه فيصير واصلا إلى الله تعالى من ذلك المسلك فبعضه جالس بين الناس يربيهم بإرشادهم إلى العبادة والأخلاق السنية، قال الإمام الغزالي رضي الله عنهم من علم وعمل وعلم فهو الذي يدعي عظيما في ملكوت السماوات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما جسيما فليحفظ آدابه.[31]

والقيم الواردة في هذا المقطع هي أن أصل أفعال العباد هو القلب وهو الأمير المطاع في عالم الجسد والبقية رعية، لكل من يريد أن يحسن أفعاله وأقواله لا سيما في العبادة لزم عليه أن ينظم القلب بالأورد والأذكار والأدعية وكذلك يكثر وظائف العبادة نحو الصلاة والصوم وقراءة القرآن والتسبيح فهذا من درجات المتجردين للعبادة ومن طرق الصالحين والفقهاء والصوفية وأهل الدين وكان هذا أفضل من النوافل لأنه عبادة وإعانة للمسلمين.[32] قال السيد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر.[33]

والدروس المستفادة من هذا المقطع: حسن القلب يؤدي إلى حسن الخلق لأن القلب أصل لجميع الجوارح والأمير المطاع في عالم الجسد وكانت البقية رعية. من أراد أن يفتح قلبه فليكثر قراءة الأذكار والأوراد والصلاة والأدعية لأنها من زيانات القلب. إن القلب هو لطيفة ربانية كالملك والبدن كالولاية له والقوة العقلية المفكرة كالوزير له والصفات المذمومة كالشرطة. فالقلب ما دام متمكنا من استعمال إشارة الوزير والتصرف في المملكة بحسب إشارة العقل فهو مستقيم في ولايته، والإشارات بفعل وظائف العبادة كي يكون القلب والعقل والبدن سالمين وصحيحين في جميع الأحوال.

المقطع الثالث: أول منازل السالكين وهو التوبة

اطلب متابا بالندامة مقلعـــا وبعزم ترك الذنب فيما استقبلا

فالتوب مفتاح لكل عبـــــادة وأساس كل الخير أجمع أشمـلا

فإن ابتليت بغفلة أو صحبـة في مجلس فتداركن مهـــــــرولا

هذا المقطع يدل على أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور: علم وحال وفعل.[34] فأما العلم فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محجوب، فإذا وجدت هذه المعرفة ثار منها حال في القلب وهي التألم بخوف فوات المحبوب وهو الندم وباستيلائه

[30]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص12.

[31]الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص115.

[32]حسين أفندي، الحصون الحميدية، (سورابايا: الهداية، ط1، د،ت.)، ص143.

[33]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص13.

[34]محمد نووي الجاوي، نصائح العباد، (سورابايا: نور الهدى، ط1، د،ت.)، ص48.

يثور إرادة التوبة وتلافي ما مضى فالتوبة ترك الذنب في الحال والعزم على أن لا يعود وتلافي ما مضى.[35] وهذه القيمة مناسبة مع قوله تعالى{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (النور:31).

والقيم الصوفية الواردة في هذا المقطع أن شروط التوبة التي لا تصح إلا بها وهي الندم على ما حصل منه من اقتراف الذنب والعزم على أن لا يعود لمثله والإقلاع من الذنب والبرائة من جميع حقوق الآدميين.[36] وعلامة صحة الندم هي رقة القلب وغزارة الدمع، لذلك يجب على كل المكلفين أن يطلب متابا حال كونه متلبسا بالندامة أي التحسر والتحزن على ما فاته من العمر في المخالفات، وحال كونه مقلعا عن الذنب في الحال إن كان متلبسا به أو عازما على العود إليه بأن يتركه ويقوم في الحال على أحسن الحالات، وحال كونه متلبسا بعزم ترك الذنب فيما يستقبل من الزمان إلى آخر عمره عزما جازما، وحال كونه متلبسا ببرائة الذمة من كل حق الآدمي كمال أو قود أي إذا تعلق بالتائب حق الآدمي اشترط تبرئته[37] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (من كان لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحلله اليوم قبل أن لايكون دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح يؤخذ منه بقدر مظلمته وإلا أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه).[38]

والدروس المستفادة من هذا المقطع هي: إن التوبة أول الوصايا وأهم قواعد الدين وأول منازل السالكين وأصل مقامات الطالبين لرضا الله تعالى ورحمته ومغفرته. ومن شروط التوبة المقبولة هي الندامة والعزم والإقلاع والبرائة.إن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور وهي العلم والحال والفعل. تجب علي السالك التوبة لأنها مفتاح للطاعات وللفتوحات الدينية والدنيوية وأساس لكل الخيرات فعليها تنبني المقامات، وكل من أراد أن ينبني مقامه ولا يحكم أساسه لا يرتفع بل ينهدم. فعلى السالك أن يحاسب نفسه محاسبة تامة فإن ابتلى بغفلة منعته من مفتاح الطاعة وأساس الخيرات أو بصحبة جماعة في مجلس يمنعونه منه،فحينئذ يجب عليه أن يتدارك تقصيره في مجلس آخر بسرعة.

المقطع الرابع: بيان القناعة

واقنع بترك المشتهى والفاخـــر من مطعـم وملابـس ومنازلا
من يطلبن ما ليس يعنيه فقد فات الذي يعنيه من غير ائتلا

إن هذا المقطع يدل على أن القناعة بعض من الوصايا التسعة اللازمة على السالك ليعملها ويفعلها حتى يصل إلى المرتبة الصوفية.[39] عرفنا أن القناعة هي الرضا بالقسمة التي جائت من الله تعالى كثيرا كان أم قليلا وعلى السالك أن يترك كل ما يؤثر سلبا للعبادة نحو جمع الدنيا والطمع والسخاء للغير لأن ذلك يورث الطمع بقسمة الله وعدم الرضا لجميع الكائنات الموجودة فطبعا لايشكر السالك الله تعالى.

وقيم التصوف الواردة في هذا المقطع هي أنه قد بين ماتحصل به من القناعة. والمعنى: وارض يا طالب الآخرة بترك ما تشتهيه النفس وتتفاخر به من المطاعم والملابس والمنازل أو الأماكن، وارض باليسير منها وهو ما يسد الجوع من المطعم وما يستر العورة من الملبس وما يدفع

[35]الغزالي، إحياء علوم الدين، ص179.

[36]الغزالي، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، (بيروت: مؤسة الرسالة، ط1، 1409هـ-1989م)، ص223.

[37]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص15.

[38]أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري،(دار الريان للتراث، ط1، 1407هـ- 1986م) ج9،ص122. والتخريج من هذا الحديث هو حكمه صحيح وراويه الإمام البخاري.

[39]محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتعليل، ج3، ص433.

الحر والبرد من المنزل. مناسبا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن أنس رضي الله عنه قال جائت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز لرسولالله صلى الله عليه وسلم فقال لها ما هذه الكسرة يافاطمة قالت قرصا خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام).[40] قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: اجتمع الخير كله في أربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا وهي إخماص البطون والصمت والخلوة والسهر.[41] ومن يطلب ما ليس يعنيه أي ما ليس يهمه ويضطر إليه من التنعم والتوسع في الدنيا والافتخار بالملابس الفاخرة فقد فاته الذي يعنيه أو يهمه ويضطر إليه من السعي في الكمالات والفضائل التي هي وسيلة إلى نيل السعادة الأبدية والفوز بالنعم السرمدية من غير أن يحصل منه ائتلا أي تقصير في فواته.[42]

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: إن القناعة بعض من علاج الحرص والطمع، ومنها: الاقتصاد والاختيار في المعيشة والرفق في الإنفاق، فمن أراد عز القناعة فليقلل الخرج والنفقة. ومنها: قصر الأمل حتى لا يضطرب بسبب الحاجة في ثاني الحال، ومنها: أن يعلم السالك ما في القناعة من العز والاستراحة عن السؤال وذل الطمع فبذلك يتخلص.

المقطع الخامس: بيان الزهد

والزهد أحسن منصب بعد التقى　　وبه ينال مقـام أربـــاب العـــلا

واترك من الأزواج من ماساعدت　　في طاعة واختر عزوبا فاضـــــلا

هذا المقطع يبين أن الزهد بعض من الوصايا التسعة الواجبة للسالك ليصل إلى المرتبة الصوفية.[43] ومما لانعلم خلافا أن الزهد في اللغة هو خلاف الرغبة حيث يقال زهد في الشيء وعنه أي لم يرغب فيه وحقيقته هي انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه وشرط المرغوب عنه أن يكون أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فتارك الحجر والتراب والحشرات لايسمى زاهدا لأنها ليست في مظنة الرغبة وتارك الدراهيم والدنانير يسمى زاهدا، وشرط المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى يغلب الرغبة فيه، فمن باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ومن باع الآخرة بالدنيا فهو زاهد في الآخرة، والعادة جارية بتخصيص اسم الزهد بالدنيا.[44]

وقيم التصوف الواردة في هذا المقطع هي أن الزهد فقدان علاقة القلب بالمال وليس هو فقدان المال، فلا نظن أن نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يكن زاهدا في الدنيا بل هو أزهد الزاهدين إذ كان يأكل الخبز الشعير ويطعم الخلق لذيذ الأطعمة وهذا من أعظم الزهد.[45] وانطلاقا من هذه العبارة يجب على السالك أن يفقد قلبه بالمال والمرأة التي تشوشه كي يخشع ويتوحد في أفعاله وأعماله إلى الله متركزا ومتوحدا نيته لطلب رضا الله جل وعلا ليست لطلب الجاه والدرجة، لأن حقيقة الجاه الشريف تنزيه القلب عن رغبة المال

---

[40] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، ص341.

[41] السيد أبو بكر المكي، ،كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص19.

[42] محمد بن علي الخروبي، تحقيق: محمد طيب إدريس ، الأنس في شرح عيوب النفس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2011م)، ص203.

[43] محمد سعيد رمضان البوطي، الحكم العطائية شرح وتعليل، 3، ص222-223.

[44] السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء،ص20-23.

[45] عبد الله الصديق الحسني، اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء، (نور الهدى، ط1، د.ت.)، ص22.

والدرجة.[46] قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه: الزهد خلو الأيدي من الأملاك والقلوب من التتبع وقال أيضا الزهد استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب، وقال أبو سليمان الداراني الزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله تعالى.[47]

أما الدروس المستفادة من هذا المقطع، فمنها: عدم الشغل عند السالك للمال والجاه لأن رضاه جل شأنه غاية رئيسية في حياته، ومنها: أن يقصر السالك الأمل حتى تجتمع في قلبه الرغبة والحلوة في العبادة وسلك بذلك الريق على الدوام، ومنها: أن لا يبالي السالك والعبد من اكل الدنيا من مؤمن أو كافر أي فتؤثر بها غيره كائنا من كان لاحتقارك لها، ومنها: إن الزهد أفضل المناصب أو المقامات بعد تقوى الإله إذ هو سبب محبة الله تعالى فمن أحبه الله فهو في أعلى الدرجات وأشرف المقامات وبالزهد ينال أرباب العلا من العلماء العاملين والصوفية الناسكين.

المقطع السادس: بيان تعلم العلم الشرعي

وتعلمن علما يصحـــــــــح طاعة وعقيدة ومزكـي القلـــــــــب اصقلا

هذي الثلاثة فرض عين فاعرفن واعمل بها تحصل نجاة واعتـــــــــلا

إن مراد هذا المقطع هو كل الإنسان يجب أن يطلب العلم ويختار ما في أوامر الله التي تؤدي إلى صحة الإيمان والإسلام و لاسيما السالك، دون العلم لايصل العبد إلى ربه وإلى مقاصده.[48] فمما يجب عليه بعد بلوغه وإسلامه أن يعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وليس يجب عيه أحكامهما بالبراهين بل يكفي أن يعتقد ذلك من غير ريب وشك ولو على سبيل التقليد، وهكذا كان يفعل رسول الله عليه وسلم بمن يسلم من أجلاف العرب.[49] وأما العلم الشرعي المراد هنا هو العلوم الثلاثة التي سيصرح بها وهي العلم الذي يصحح العبادة أو ما يسمى بعلم العقيدة والعلم الذي يصحح العقيدة والعلم الذي يصلح القلب أو ما يسمى بعلم الأخلاق.[50]

وقيم التصوف الواردة في هذا المقطع هي: يجب على السالك والعبد الراغب فيما يوصله إلى رضا الله ورسوله أن يتعلم علما يصحح طاعته وعبادته من وضوء وصلاة وصوم وزكاة وحج ومعاملة على وفق الشريعة المطهرة إذ العمل من غير علم باطل.[51] قال ابن رسلان في زبده:[52]

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

ومنها: يجب على السالك أن يتعلم علما يصحح اعتقاده بأن يكون على وفق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وذلك لتحترز به من الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد المعتزلة والجبرية والمجسمة. وعلي السالك والعبد أن يتعلم ما يجب عليه تركه من المعاصي على ممر الأيام

[46]الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص86.

[47]محمد بن علي الخروبي، تحقيق: محمد طيب إدريس ، الأنس في شرح عيوب النفس، ص167.

[48]الغزالي، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، ص53.

[49]الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص11.

[50]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص23.

[51]ابن عباد النفزي الرندي، شرح الحكم للإمام عطاء الله السكندري، ص4.

[52]شهاب الدين أبو العباس الرملي، فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان، (بيروت: دار المنهاج، ط1، 1430هـ- 2009م)، ص78.

بحسب ما تمس إليه الحاجة. فإن خطر بباله شك في معتقداته وجب عليه الخوض في التعلم والنظر بقدر مايزيل الشك وأن يتعلم العلمالذي به النجاة عن المهلكات والفوز بالدرجات وتحصيله أيضا فرض عين وما وراء ذلك من العلوم فرض كفاية لا فرض عين.[53]

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: يجب على السالك أن يتعلم العلم الشرعي الموصل إلى مقصده ونيل رضاه تعالى، ومنها: إن العلم الشرعي المراد هنا هو العلم الذي يصحح العبادة والعلم الذي يصحح العقيدة والعلم الذي يصلح القلب. هذه العلوم الثلاثة ليحترز السالك به عن الاعتقادات الفاسدة الباطلة، ومنها: كل الأعمال بدون ورود العلوم المناسبة مردودة لأنها تقع في الخطاء لا في الصواب.

المقطع السابع: المحافظة على السنن

حافظ على سنن وآداب أتـــت　　مأثورة عن خير من جا مرسلا

ان التصوف كله لهـــــو الأدب　　ومن العوارف فاطلبنه وعــولا

إذ لادليل على الطريق إلى الإله　　إلا متابعة الرسول المكمـــــلا

لما كانت الصوفية أكثر الناس حظا من المحافظة على سنن النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه والتخلق بأخلاقه ظاهرا وباطنا ونالوا بذلك المراتب العلية والمقامات السنية رأوها الركن الأعظم للتصوف فأطلقوا التصوف عليها.[54] وقال أبو حفص الحداد: التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول.[55]

إن هذا المقطع يقيم التصوف بالمحافظة على السنن بمعنى يجب على السالك الطالب لرضا الله المتعطش لطاعة الله وتقواه على سنن وآداب أتت مأثورة عن خير المرسلين صلى الله عليه وسلم وذلك لأن كل واحدة منها تأثيرا في تنوير القلوب وسرا.[56]قال أبو العباس المرسي رضي الله عنه أوقات العبد والسالك أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية ولله تعالى على السالك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله تعالى عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها.[57]كما قال الله جل شأنه وعلا: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) { آل عمران: 31 }.

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: وجوب المحافظة على السنن والآداب الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما وجبت لأنه لادليل على الطريق الموصل إلى الله إلا متابعة الرسول في ذلك والمتابعة المذكورة علامة على محبة الإله، ومنها: إن التصوف كله لهو الأدب أي معظم أركانه الأدب، ومنها: إن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع. ولذلك على السالك أن يتبع أحوال النبي صلى الله عليه وسلم لأن متابعته أصل كل خير وسعادة.

---

[53]نصر بن محمد السمرقندي، تنبيه الغافلين،(إندونيسيا: الحرمين، ط1، د،ت.)، ص155.

[54]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص25.

[55]أبو يزيد البسطامي، تحقيق: قاسم محمد عباس، المجموعة الصوفية الكاملة، (المدى، ط1، 2004م)، ص 72.

[56]ابن عباد النفزي الرندي، شرح الحكم للإمام عطاء الله السكندري، (إندونيسيا: الحرمين،، ط1، د،ت.)، ج1، ص28.

[57]محمد نووي الجاوي، شرح مراقي العبودية، (سورابايا: نور الهدى، ط1، د،ت.)، ص77.

المقطع الثامن: بيان التوكل

وتوكلن متجردا في رزقـــــــــــكا ثقة بوعد الرب أكرم مفضلا

لا تبذلن للناس عرضك طامعا في مالهم أو جاههم متذلـــــلا

إن من الوصايا التسعة الواجبة على السالك هو التوكل إلى الله بكل ما وجد من أمره وفعله وحاله فإنه يؤدي إلى عدم الحزن من حاصل كل الأمور،[58] كما قال الغزالي قد أكثر العلماء في بيان التوكل واختلفت عبارتهم وتكلم كل واحد عن مقام وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والإكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه، ويسمى الموكول إليه وكيلا والمفوض إليه متكلا عليه ومتوكلا عليه.[59]

وقيم التصوف الواردة في هذا المقطع، منها: أن من البداهة بمكان أن للسالك الراغب في ترقي الدرجات في شأن رزقه على مولاه تبارك وتعالى أو أن يترك الكسب حال كونه متجردا عن الأهل والأولاد ثقة بوعده واعتمادا على كرم كماله ورحمته سبحانه وتعالى ضمن وبالغ في الإيجاب على نفسه في كتابه الكريم (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) { هود: 6}.[60]

ومما لانعلم خلافا أن السالك أو العبد ينبغي فيه أن يصون نفسه عن التذلل للخلق طمعا فيما عندهم إما بالتوكل إذ المتوكل قد قطع النظر عما عندهم فلا يكون له طمع ونظر إلا إلى الله تعالى، وأما بالتسبب فإن المتسبب قد صان نفسه بواسطة كسبه عن منن المخلوقين والطمع فيهم.[61]

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: أن يكون وثوق السالك والعبد بالله كوثوقه بوكيل قد عرف صدقه وأمانته وعنايته وهدايته وشفقته، ومنها: أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل في حق أمه، فإنه لايعرف غيرها ولا يفزع في الأمور إلا إليها فهي أول خاطر له فيما يخطر بباله وهذا يقتضي ترك الدعاء والسؤال لغير الله ثقة بكرمه وشفقته، ومنها: إن التوكل هو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن ضعف عن حاله فليسلك سنته.[62]

المقطع التاسع: بيان الإخلاص

أخلص وذا أن لا تريد بطاعة إلا التقرب من إلهك ذي الكلا

واحذر رياء محـــبطا لعبادة وانظر إلى نظر العليم فتكملا

[58]عبد القادر الشاذلي، الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة، (مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1431هـ-2010م)، ص376.

[59]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص29

[60]الغزالي، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، ص277.

[61]ابن عباد النفزي الرندي، شرح الحكم للإمام عطاء الله السكندري، ص34.

السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص33.[62]

ومن البداهة أن الإخلاص هو الركن الأعظم من أعمال القلب الذي عليه مدار العبادة كلها،[63] قال الله تعالى في كتابه الكريم (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) { البينة: 5}. وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان،فقال هو الإخلاص لله تعالى ولذلك معنى الإخلاص هو أن يكون قصد الإنسان في جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله تعالى وإرادة قربه ورضاه دون غرض آخر من مراآت الناس أو طلب محمودة منهم أو طمع فيه.[64]

والقيم الواردة في هذا المقطع هي ذكرت أن تصفية القلوب يؤدي إلى كمال العبادة والطاعة وينبغي للسالك أن يكون قلبه خالصا في جميع أعماله وأحواله. هنا نجد أن الإخلاص له مراتب ثلاثة: الإخلاص الذي لايريد بطاعة الله إلا التقرب من مولاه، والعمل طمعا في الثواب وهربا من العقاب، والعمل لأجل أن الله يغنيه في الدنيا عن الناس.[65] ومنع السالك أن يعمل العمل بالرياء لأنه من أعظم المهلكات وهو مبطل لثواب العبادة والطاعة.[66]

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: أن يسكن العبد في حركاته لله تعالى خاصة وأن يصفي السالك قلبه من الكدورات، ومنها: أن يترك السالك العمل من أجل الناس رياء من جميع حسناته وفضله، ومنها: أن ينهي السالك قلبه بشيئين النهي عن عدم قصد التقرب إلى الله تعالى والنهي عن قصد التقرب مع قصد التوصل إلى غرض الدنيا.

المقطع العاشر: بيان العزلة

لا تصحبن من كان أهل بطالة وتساهل في الدين ذاك هو البلا

والعزلة الأولى إذا فسد الزمـن أو خاف من فتـن بديـن مبتـــلى

وكذا إذا خاف الوقوع بشبهــة أوقى حرام أو لذاك مماثـــــــلا

ومما لانعلم خلافا أنه قد اختلف الناس فيها فذهب بعضهم إلى استحباب العزلة وتفضيلها على المخالطة نحو سفيان الثوري والفضيل بن عياض وبشر الحافي،[67] وذهب أكثر التابعين إلى استحباب المخالطة واستكثار الإخوان للتعاون على البر والتقوى، واستدل الجميع بما ورد في الأخوة والألفة من قوله عليه الصلاة والسلام (لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير من عبادة أحدكم أربعين عاما)،[68] واستدل من فضل العزلة كفضيل رضي الله عنه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني (لما قال: يا رسول الله ما النجاة؟ قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئطك).[69]

والقيم الواردة في هذا المقطع هي أن العزلة هي التفرد عن الخلق فعلى السالك والعبد إقامتها لأن الخلق يشغلونك عن الله ويوقعونك في الشر والهلاك، من البداهة أن الناس في العزلة ليسوا سواء فمنهم لاحاجة للخلق إليه، فهذا الأولى له التفرد وعدم المخالطة إلا في جمعة أو

---

[63]جلال الدين السيوطي، سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، (بطنطا: مكتبة الصحابة، ط1، 1407هـ-1987م)، ص45.

[64]أبو يزيد البسطامي، تحقيق: قاسم محمد عباس، المجموعة الصوفية الكاملة، (المدى، ط1، 2004م)، ص 54.

[65]الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص224.

[66]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص33.

[67]عبد الحكيم عبد الغنى قاسم، المذاهب الصوفيه ومدارسها، ص 101.

[68]الإمام مسلم، صحيح مسلم، (دار الحديث، ط1، 1999م)، ج6، ص 341.

[69]أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج5، ص266.

جماعة أو مجلس علم أو حاجة في معيشة لا بد له منها.[70] ولايصحبن السالك المريد للآخرة من كان متأهلا للبطالة والتساهل في الدين أي متصفا بهما لأن صحبة من كان كذلك بلاء محض ومصيبة عظمى، إذ الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على الاقتداء بمن يستحسن حاله.[71]

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: التفرغ للعبادة والتفكر والاستئناس بالله تعالى ومناجاته ومطالعة الملكوت وذلك يأتي بالعزلة ومفارقة الخلق، ومنها: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي الغيبة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المقطع الحادي عشر: حفظ الأوقات

واصرف إلى الطاعات وقتك كله　　لا تتركن وقتا سدى متساهـــــــلا

وتصبر أوقات المبـــــــاح بنيــة　　مصروفة في الخير فاصح بلا ائتلا

من الوصايا التسعة حفظ الأوقات أي صرفها في الطاعات ولما كان استغراق الأوقات في الطاعة مما يبعث السالك على العزلة عن الناس والتفرد يهون ذلك على السالك والعبد ويسهله للسالك ذكره عقب العزلة،[72]صدر السؤال حيث قيل كيف يأمر السالك بصرف جميع الأوقات في الطاعات مع أن ذلك لا يتأتى، إذ لابد له من فعل المباح كأكل وشرب ونوم وغير ذلك،؟ وحاصل الجواب أن ذلك يتأتى بالنية إذ المباح ينقلب طاعة بها كما قال ابن رسلان:[73]

لكن إذا نوى بأكله القوي　　لطاعة الله له ما قد نوى

والقيم الواردة في هذا المقطع هي يجب على السالك أن يصرف وقته كله في الطاعات وأن يترك فضول الكلام وكل ما لايعنيه كما قال عليه الصلاة والسلام (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)،[74] فإذا رأى السالك نفسه تتطلع إلى كلام الناس وملاقاتهم من غير حاجة وضرورة، فيعلم أن ذلك فضول ساقه إليه الفراغ والبطر. إذا لزم السالك العبادة وجد حلاوة المناجاة واستأنس بكتاب الله واشتغل عن الخلق واستوحش من صحبتهم وكلامهم.[75] ويجب على السالك أن لايترك أوقاته مهملا متساهلا فيها، إن تركها صار كالبهائم لايدري ما يشتغل به فينقضي أكثر أوقاته ضائعا فتخسر خسرانا مبينا.[76]

[70]ابن عباد النفزي الرندي، شرح الحكم للإمام عطاء الله السكندري، ج2، ص24.

[71]الغزالي، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، ص214.

[72]السيد أبو بكر المكي، كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء، ص41.

[73]شهاب الدين أبو العباس الرملي، فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان، ص42.

[74]أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج5، ص311.

[75]ابن عباد النفزي الرندي، شرح الحكم للإمام عطاء الله السكندري، ج2، ص73.

[76]جلال الدين السيوطي، سهام الإصابة في الدعوات المستجابة، ص53.

والدروس المستفادة من هذا المقطع، منها: تنظيم الأوقات مملوءا بطاعة الله تعالى وتقربه كل يوم وليلة وقصد كل الأعمال لطلب رضاه جل شأنه، ومنها: إن تضاعف العمل الواحد بقدر النيات فينبغي لكل الإنسان أن يستحضر عند كل عمل النيات الصالحة فيه لأجل المضاعفة، منها: انتفاع الوقت بالصالحات وابتعاد عن جميع فضول الكلام والحال الذي لامعنى فيهما.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث المتواضع والجهد اليسير لا بد من الوصول إلى نتائج تكون عصارة للجهد الذي قدم في هذا البحث، وقد تمخضت هذه الرسالة عن النتائج الآتية:

1. التعرف على مفهوم التصوف: التصوف هو المحافظة على سنن النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه والتخلق بأخلاقه ظاهرا وباطنا، ونال السالك أو العبد بذلك المراتب العلية والمقامات السنية.رآبهاالعلماء الركن الأعظم للتصوف، فأطلقوا التصوف عليها، فلذلك صرح الباحث بما ذكر فقال إن التصوف كله لهو الأدب أي معظم أركانه الأدب.قال أبو حفص الحداد التصوف كله أدب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول.
2. التعرف على الشيخ زين الدين بن علي المعبريالملليباري. كان زين الدين بن علي بن المعبريالملليباري من أجل الشعراء وعلماء التصوف الهنود في القرن التاسع الهجري مناسبا بالقرن الخامس عشر الميلادي وصاحب مؤلفات عديدة باللغة العربية في العلوم الإسلامية والتصوف والدعوة والإرشاد والفقه والتاريخ والنحو والصرف والعروض وغيرها. الشيخ زين الدين بن علي المعبريالملليباري ولد في كوشين(Cochin) من مدن مليبار بعد طلوع الشمس من يوم الخميس 12 شعبان 872هـ، وتوفي بعد نصف ليلة الجمعة السادس عشرة من شهر شعبان سنة تسعمائة وثمانية وعشرين الهجرية (928هـ/ 1522م).
3. التعرف علي كتاب "هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء": إن كتاب هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء من أعظم مؤلفات الشيخ زين الدين بن علي المعبريالملليباري، فيه مائة وثمانية وثمانون بيتا عن بيان الطريقة الموصل إلى الأخرة وهي شريعة وطريقة وحقيقة والوصايا عن التوبة والقناعة والزهد والتوكل والإخلاص وما إلى ذلك. وقد استعمل فيه البحر الكامل حتى يسهل قرائته وحفظه للطلبة. فعودة إلى بدء أن سبب نظم هذه الأبيات كما حكى الناظم أنه رأى في المنام ليلة الأربعاء في التارخ الرابع وعشرين من شهر شعبان سنة تسعمائة وأربع عشرة من الهجرة قائلا إن التصوف أولى بالاشتغال فإن السابح في الجاري إذا أراد أن يعبر من جانب إلى جانب في عرض النهر يسبح إلى مقصده من الجهة التي يجري الماء منها وهي جهة العلو حتى يصل إلى مقصده ولا يسبح في مجرد العرض فإنه لا يصل بذلك إلى مقصده بل ينتهي إلى أسفل منها ففهم بذلك أن الاشتغال بالتصوف يوصل إلى المقصد والاشتغال بالفقه ونحوه لا يوصل إليه وبعد هذه الرؤيا اشتغل بإنشاء هذه الأبيات التي هي 188 بيتا فأجاد نظمها.

وقيم التصوف في كل مقطع، المقطع الأول عن مفهوم الطرق الثلاثة الموصلة إلى الآخرة وهي الشريعة والطريقة والحقيقة. والمقطع الثاني أمر زين الدين بن علي المعبريالملليباري أن يزين العبد أو السالك ظواهره الجلية التي تؤدي إلى نور القلوب. والمقطع الثالث بين الناظم أول الوصايا التسعة وهو التوبة ويجب على السالك أو العبد أن يشعر بالندامة والعزم والإقلاع والبرائة. والمقطع الرابع بيان القناعة بأن العبد أو السالك أن يرضي بالقسمة من الله تعالى قليلا كان أم كثيرا. المقطع الخامس بيان الزهد ويأمر الناظم بأن يتحرز

السالك أو العبد عن الشبهات والمكروهات. والمقطع السادس بيان تعلم العلم الشرعي نحو علم الطاعة وعلم العقيدة وعلم مزكي القلوب. والقيمة الواردة في المقطع السابع هي دوام المحافظة على سنن النبي صلى الله عليه وسلم التي بها يتأدب السالك أو العبد مع أن التصوف كله هو الأدب. والمقطع الثامن هو بيان التوكل إلى الله. والمقطع التاسع هو بيان الإخلاص في كل العمل والفعل بنية طلب رضا الله. والقيمة الواردة في المقطع العاشر هي استحباب العزلة عن المخالطة واستكثار الإخوان للتعاون على البر والتقوى. والقيمةالوريدة في المقطع الحادي عشر أو الأخير هي حفظ الأوقات وصرفها بنية صحيحة مع أن الأفعال متعلقة بنيتها المبروزة.

المصادر والمراجع

الآلوسي. (1328م). غرائب الاغتراب. بغداد: الشابندر.

ابن منطور. (1414هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

أحمد رضا. (1380هـ). معجم متن اللغة. بيروت: دار مكتبة الحياة.

أحمد الهاشمي.(2008م). جواهر البلاغة. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

أحمد مختار عبد الحميد عمر. (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة. بيروت: عالم الكتب.

أحمد مطلوب. (1980م). أساليب البلاغة. الكويت: وكالة المطبوعات.

أحمد مطلوب. (1975م). فنون البلاغة البيان والبديع. بيروت: دار البحوث العلمية.

أحمد الإسكندر – مصطفى أناني. (1916م). الوسيط في الأدب العربي وتاريخه،القاهرة: دار المعارف.

إنعام فوال عكاوي. (1996م). المعجم المفصل في علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

البسطامي أبو يزيد. (2004م). المجموعة الصوفية الكاملة. تحقيق: قاسم محمد عباس، سوريا: المدى.

البوطي، محمد سعيد رمضان. (2003م). الحكم العطائية شرح وتحليل. دمشق: المطبعة العلمية.

الترمسي. (1992م). بغية الأذكياء في البحث عن كرمات الأولياء. سورابايا: نور الهدى.

الجاوي، محمد نووي. (د.ت.). سلالم الفضلاء. سيمارانج: مكتبة العلوية.

الجاوي، محمد نووي. (د.ت.). مراقي العبودية. سورابايا: نور الهدى.

حسين أفندي. (د.ت.). الحصون الحميدية. سورابايا: الهداية.

الحسني، عبد الله الصديق. (د.ت.). اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء. د.م.: نور الهدى.

حفني ناصف بك. (د.ت.). قواعد اللغة العربية. سورابايا: المكتبة الهداية.

جبران مسعود. (1992م). الرائد معجم لغوي عصري. بيروت: دار العلم للملايين.

الجرجاني. (1425هـ). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخروبي، محمد بن علي. (2011م). الأنس في شرح عيوب النفس. بيروت: دار الكتب العلمية.

رفيق خليل عطوي. (د.ت.). علم البيان والمعاني والبديع. بيروت: دار العلم للملايين.

الرملي، شهاب الدين أبو العباس. (2009م). فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان. بيروت: دار المنهاج.

الزركلي. (1990م). الأعلام قاموس تراجم. بيروت: دار العلم.

السكاكي. (1987م). مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية.

السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم. (2008م). تنبيه الغافلين. بيروت: عالم الكتب.
السيوطي. (1987). سهام الإصابة في الدعوات المستجابة. طنطا: مكتبة الصحابة.
الشاذلي، عبد القادر بن الحسين بن مغيزيل. (2010م). الكواكب الزاهرة. د.م.: مكتبة الثقافة الدينية.
الشريم، سعود بن إبراهيم. (1423هـ). آيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية. مكة: بيت الأفكار الدولية.
الصحاري، سلمة بن مسلم العوتي. (1999م). الإبانة في اللغة العربية. عمان: وزارة التراث القومي والثقافة.
عبد الرحمن الخضري. (د.ت.). شرح الجوهر المكنون، إندونيسيا: مكتب دار إحياء الكتب العربية.
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (1986). فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.م.: دار الريان. ج9.
العسكري، أبو هلال. (1412هـ). معجم الفروق اللغوية، قم:مؤسسة النشر الإسلامي.
الغزالي. (2004م). إحياء علوم الدين. جاكرتا: دار الكتب الإسلامية.
الغزالي. (1989م). منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين. بيروت: مؤسسة الرسالة.
المراغي، أحمد مصطفى. (1993م). علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع. بيروت: دار الكتب العلمية.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت.). كتاب العين. لبنان: دار ومكتبة الهلال. ج1.
الفيروزآبادي. (2005م). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
قاسم عبد الحكيم عبد الغني. (1999هـ). المذاهب الصوفية ومدارسها.القاهرة: مكتبة مدبولى.
القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا. (1979). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
القزويني، الخطيب. (1424هـ). الإيضاح في علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
الماليني، أحمد بن محمد بن أحمد. (1997م). الأربعين في شيوخ الصوفية. بيروت: دار البشائر الإسلامية.
مجمع اللغة العربية. (د.ت.). المعجم الوسيط، القاهرة: دار الدعوة.
محمد علي زكي صباغ. (1998م). البلاغة الشعرية في البيان والتبيين للجاحظ. بيروت: المكتبة العصرية.
المرسي، علي بن إسماعيل. (2000). المحكم والمحيط الأعظم. بيروت: دار الكتب العلمية. ج9.
مسلم. (1999م). صحيح مسلم. دار الحديث. ج6.
المكي، السيد أبو بكر. (2001م). كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء. سورابايا: نور الهدى.
النفزي الرندي، ابن عباد. (د.ت.). شرح الحكم للإمام عطاء الله السكندري، إندونيسيا: الحرمين. ج2.
الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. (2001م). تهذيب اللغة. بيروت: دار إحياء الترث العربي.